Wahib Atalla, "Clergy Ought to Study Philosophy" in *Sunday School Magazine* vol. 6, no. 9/10 (Nov/Dec 1952): 13–18.

يجب على رجل الدين أن يدرس الفلسفة

أولا : لأن الفلسفة أرقى المعارف البشرية :

يجب على رجل الدين أن يكلم الناس بلغتهم حتى يمكنه أن يصل إليهم ويمكنهم أن يصلوا إليه ويفهموا حقائق الدين العالية عن عقولهم والبعيدة عن تفكيرهم وشعورهم . وكما أنك لا تستطيع أن تكلم الفرنسويين أو الانجليز أو الألمان أو الطليان إلا إذا درست اللغة التى يتكلمون بها حتى لا تكون أعجمياً لديهم وحتى تفهمهم ويفهموك هكذا المعارف والعلوم البشرية أهميتها فى الدين كأهمية اللغة فى كيفية التبليغ والتوصيل وبالأخص العلوم والمعارف العصرية أى التى يتداولها ويتعارف بها أهل العصر .

فكلما كان رجل الدين ملماً بعلوم عصره كان أقدر على نقل أفكاره ومعتقدات الدين إلى عقول الناس بطريقة قريبة إلى تفكيرهم وشعورهم ولذلك كان على رجل الدين أن يبذل قصارى جهده فى تزويد عقله بكل الثقافات والعلوم العصرية فستكون له خير أداة لنجاح مهمته بين الناس .

ذلك إلى أن تفسير الكتب المقدسة وشرح العقائد والعلوم اللاهوتية فضلا عن التاريخ الدينى أو الكنسى يستلزم أن يلم رجال الدين بالعلوم الطبيعية والانسانية (من طبيعة ونبات وحيوان وتشريح ووظائف الأعضاء وتاريخ وجغرافيا وجيولوجيا وفلك وطب وأدب وسياسة واجتماع ونفس ... إلخ) ثم باللغات الحية والميتة .

ولما كان الإلمام التام بكل هذه العلوم معاً متعذراً بل ومستحيلا على رجل الدين الذى يجب أن يكون متضلعاً أولا وبالذات وقبل كل شيء آخر بالعلوم الروحية والعقائد الدينية بعد أن ينقطع للتعبد والصلاة والتجارب الروحية لذلك فلا مندوحة له من أن يكتفى ببعض المعارف والعلوم على أن يكون هذا البعض هو الأهم الذى لاغنى عنه والذى يفضل غيره ويأتى فى الترتيب قبلا .

ولما كانت الفلسفة تعد أرقى جميع المعارف والعلوم فالإلمام بها أولى من غيرها وإن كان لا يغنى عن غيرها .

أما أنها أرقى العلوم فلأنها تستأثر بأرقى الملكات الفكرية ثم لأنها دراسة للفكر نفسه

الذى تقوم عليه جميع العلوم البشرية وهى بحث الأفكار الرئيسية والمبادىء العامة دون التفاصيل المادية التى تبحث فيها العلوم المختلفة ولذا فدراسة الفلسفة تغنى إلى حد كبير عن دراسة الكثير من العلوم أو يمكن على الأقل أن نقول أنها تسهل البحث فى جميع العلوم إذ هى أشق وأرهق للفكر من هذه العلوم ومن ثم فمن درسها يمكنه فى يسر وسهولة أن يدرس غيرها من العلوم مع أن العكس ليس بصحيح .

هذا والفلسفة كما يعرفها الفيلسوف الانجليزى سبنسر هى جماع جميع العلوم إذ الفلسفة تركيب للمعارف الانسانية وهو تركيب يكتمل ويتوثق بتقدم العلوم الفرعية التى تجعلها الفلسفة فى أحضانها فان دراسة الفلسفة دراسة للتركيب العام لجميع العلوم . ولذا فهى أخصب وأغنى للفكر العام وأنسب لقيادة الفكر من دراسة سائر العلوم ولو أنها دراسة أيضا وفى الآن نفسه — للمبادىء العامة لجميع العلوم .

ثانيا : لأن دراسة الفلسفة نافعة للعقل

ليس بين جميع العلوم ما يعود بالنفع على العقل نفسه مثل الفلسفة ورجل الدين بوصفه مفكراً بل قائداً للفكر يرحب بهذه الفوائد الجليلة .

١ — الفلسفة تصقل العقل :

بدراسة الفلسفة يمرن العقل على حل المشكلات وفك الغوامض والمبهمات فيسهل عليه التفكير فى سائر الأمور العويصة فيصبح أكثر استعداداً وأقدر على الاستنتاج والتعليل والقياس . ومثل العقل فى ذلك مثل قطعة من الخشب فيها بروزات ونتوءات ولكن بكثرة حكها والضغط عليها والمرور على سطحها بآلة النجار (الفارة) يتم صقلها وتختفى نتوءاتها ويصبح من الممكن أن يمر عليها المرء بيده دون أن تجرح أو تخدش لأنها غدت ناعمة الملمس هكذا العقل بمرانه على التفكير وكثرة اشتغاله بمسائل الفلسفة ومعضلاتها .

٢ — تمكن العقل من التفكير العميق:

الفلسفة تفكير عميق متواصل وهى تستأثر بأسمى ملكات العقل وتستغلها أرقى نوع من الاستغلال وتجهدها أعظم إجهاد مما يحصل معه المرء على فوائد فكرية جلى إذ يزداد كل يوم قدرة على التفكير العميق والبحث العنيف الشاق فى مجالات المدركات العقلية المجردة عن العوارض الحسية . إذ قد مرن على التفكير فى نظائرها . وبهذا يتأهب الباحث لدراسة اللاهوت ولذا كان طلبة المدرسة الأكليريكية بمدينة الاسكندرية يدرسون الفلسفة قبل اللاهوت .

٣ – تكسب العقل دقة فى البحث :

وكما تمتاز الفلسفة بالعمق تمتاز كذلك بالدقة فالمنطق وهو أول علوم الفلسفة يعنى بتحديد الألفاظ والمدركات كذلك تاريخ الفلسفة بما يقدمه من مذاهب فلسفية متباينة لم تختلف عن بعضها إلا يسيراً فى نقطة البدء ثم اتسعت شقة الخلاف بينها حتى أصبحت متعارضة جد التعارض بل ومحاولة الفلاسفة استعمال أو خلق مصطلحات فلسفية خاصة للتعبير عن معانى فكرية معينة مصطلحات قد تكون متقاربة فى لفظها وشكلها ولكنها تختلف فى معناها عن بعضها اختلافا صغيراً أو كبيراً .. كل هذا من شأنه أن يعود العقل خاصية الحذر والدقة والتوقف عن الحكم والتثبت من كل خطوة قبل الانتقال إلى غيرها وعدم الخلط بين الألفاظ الموافقة للمعانى تخيراً مانعاً فلا يكون اللفظ أوسع من المعنى ولا أضيق منه .

وإذا كان للفيلسوف الحق أن يتحلى بهذه الفضائل العقلية التى بدونها لن يستحق لفظ الفيلسوف فان رجل الدين كذلك بوصفه مفكراً فى أعوص المسائل وأرفعها تلزمه هذه الدقة وسائر الفضائل الفلسفية الأخرى حتى يكون دقيقاً فى لفظه سليما فى قوله وحكمه يمكن أن يتناول الناس عباراته فيفهمون مقصوده على وجه الدقة فليس يصلح للقيادة فى الفكر إلا رجل يقول ما يقصد ويقصد ما يقول واضح الفكر سليم العبارة . فاذا بحث مشكلة لاهوتية عرضها عرض المفكر الرصين المتريث الذى لن ينتقل من فكره قبل أن يسلم ما قبلها لما بعدها وبذا تكون بحوثه وافية شافية ومقنعة كافية .

٤ – تكون أو تربى ملكة النقد الصحيح :

فالصراع الذى يقوم بين الفلاسفة على شتى المسائل العقلية وما ينشأ بينهم من نواحى الاتفاق أو الاختلاف يلزم الفكر ويوضعه على أن لا يقتبل أى مذهب أو رأى قبولا سهلا وإنما يزن كل فكرة فيه ليرى ما فيها من صواب ومن خطأ وهذا هو النقد الصحيح الذى يتوافر بنصيب عظيم للفلاسفة أو دارسى الفلسفة .

ورجل الدين يعوزه أن يكون ناقداً لا ناقلا ومهمته تقتضيه أن يقرأ كل شىء ليفحصه حتى يستفيد من خيره ويطرح ثمره ولكيما يرشد أفراد رعيته إلى مواطن القوة والضعف فى المؤلفات التى يقرأونها فيجنبهم العثار والضلال ويقتادهم إلى الحق والصواب .

٥ – ترشده إلى اكتشاف المغالطات :

الاغاليط أو المغالطات باب من أبواب علم المنطق وهو فرع من فروع الفلسفة ودراستها

تفقه المرء فى سبيل كشف الأخطاء والأغاليط التى يسقط الناس فيها سواء فى كتاباتهم او أقوالهم . فلا يفحم بكل قياس ولا ينخدع بظاهر القول .

وما أشد حاجة رجل الدين إلى هذه الفلسفة التى تكون له خير عون على كشف الأغاليط التى يقع فيها خصوم الحق المكابرين فان لم يكن أوسع حيلة منهم وأقدر على إظهار تفاهة أدلتهم وفضح أساليب هجومهم ودفاعهم لا يمكنه أن يظفر بهم . فنى علم اللاهوت الجدلى يفتقر اللاهوتى إلى الفلسفة ليقنع و يفحم ويرد ويدفع .

ثالثاً : لأن دراسة الفلسفة نافعة للدين

أما نفع الفلسفة للدين فيتضح من جهتين : —

أولا — تؤكد حقائق الدين فى ذهن رجل الدين :

قد يكون الدين عند بعض المؤمنين حقائق عالية لا يستطاع فهمها ولا يمكن التوصل إلى فهمها وهم لذلك ضعيفو الاعتقاد واهنوا الإيمان لا يكاد يعترضهم فى دينهم إنسان حتى يعتورهم الشك ويزعجهم الريب لكن رجل الدين الفيلسوف قد ثبت الدين عنده بأدلة من العقل ولذا فهو راسخ الاعتقاد قادر على الثبات أمام عواصف الشكوك وليس هناك من قضية إيمانية إلا وقد فهمها بعقله وهضمها بقلبه وارتكزت فى نفسه بأسلوب واضح متميز منتظم فالدين لديه إذن قد استحال إلى حقيقة إنسانية يستطيع أن يبرهن عليه بأدلة معقولة بعد أن كان دينا عاليا من سلطة آمن بها مقهوراً .

والدين فى نظر الكثيرين ضد الفلسفة والفلسفة خصم للدين أما عند رجل الدين الذى درس الفلسفة فقد صارت هذه الخصومة المزعومة لا مبرر لها ولم يعد ينزعج بما يشنه خصوم الدين من براهين وأسانيد فقد اطمأن إلى الدين ورسخت عقائده فى قلبه بأدلة من العقل والنقل وبالاجمال فعلى قدر ما تبدو الفلسفة عند العوام عدوة للدين تصبح عند رجل الدين الفيلسوف خادمة للدين .

ثانيا : تطمئن الناس على الدين :

والناس بإزاء الفلسفة فريقان . فريق جهل الفلسفة ومع ذلك فهو متخوف على الدين من الفلسفة بما يصل إلى سمعه من خصوم الدين من أن عباقرة المفكرين رفضوا مبادىء الدين فإذ يدرس علماء الدين آراء الفلاسفة ومذاهب الفلسفة وإذ يرى الناس أن دراسة الفلسفة لم

تزعزع إيمان المتدينين يتشجعون ويطمئنون الى الدين ويتحققون من أنه لا خوف عليه من الفلسفة فيزدادون به إيمانا وثقة ورسوخاً .

والفريق الآخر فريق الفلاسفة أو دارسى الفلسفة الذين قد بهرتهم الفلسفة وصاروا بها مغرورين واعتقدوا أن جهالة رجال الدين بالفلسفة هى التى صيرتهم متدينين وكأنهم يشعرون أن رجل الدين إذا تفلسف تزعزعت أسس إيمانه . ولكن اذا درس رجل الدين الفلسفة استطاع أن يصد المتغطرسين والمدعين وأمكنه عن طريق الفلسفة أن يبرهن على صحة الحقائق الإيمانية فينكص أولئك على أعقابهم وترتد سهامهم الى نحرهم فلا يهاجمون الدين ورجاله .

ولئن كان حقاً أن القديس بولس الرسول لم يرد أن يكلم الناس عن المسيح بأدلة الفلسفة لئلا تستحيل ديانة المسيح الى مذهب فلسفى ولئلا تختفى قوة الروح القدس فى إقناع القلوب وإشباع النفوس الا أننا لا ننسى مطلقا أن القديس بولس كان دارسا للفلسفة وقد تأثر جد التأثر بالمنهج الفلسفى فكتاباته تمتاز بالأسلوب الفلسفى الرائع وهو ما حدا بالكثيرين من المؤرخين وعلماء التاريخ الفلسفى الى أن يعدوا الرسول بولس فيلسوفا عظيما بل لقد لقبوه بفيلسوف المسيحية . ولم يكن لأحد أن ينكر هذه القضية وقد اعترف بها زميله وشريكه فى الخدمة الرسولية القديس بطرس قال فى خاتمة رسالته الثانية :

« ثقوا أن أناة ربنا (هى) لخلاصكم كما كتب اليكم أيضاً أخونا الحبيب بولس بحسب الحكمة التى وهبت له . وهكذا (فعل) فى جميع رسائله حيث تكلم عن هذه الأمور التى توجد فيها أشياء يعسر فهمها يمجها الجهال وغير الرسخين كسائر الكتب فيهلكون نفوسهم (٢ بط ٣ : ١٥ ، ١٦) .

لهذا اختاره الرب الإله ليكون كارزاً باسمه بين الأمم حتى يكون له إناء مختاراً يحمل اسمه بين أمم وملوك بنى إسرائيل (أع ٩ : ١٥) فصار رسول الأمم كما أن مار بطرس كان رسول الختان (غل ٢ : ٨ ، ٩) ولما كان دارسا لفلسفة الأمم أمكنه أن يفهمهم ويعرف أفكارهم كما أمكنه أن يكلمهم بمنهجهم وأسلوبهم ولغة عقولهم . خذ مثلا لذلك ما ورد عنه فى سفر الأعمال ، فقابله قوم من الفلاسفة الابيكوريين والرواقين وقال بعضهم ترى ماذا يريد هذا المهذار أن يقول وبعض . انه يظهر منادياً بآلهة غريبة لأنه كان يبشرهم بيسوع والقيامة . فأخذوه وذهبوا به إلى أريوس باغوس قائلين : هل يمكننا أن نعرف ما هو

هذا التعليم الجديد الذى تتكلم به لأنك تأتى إلى مسامعنا بأمور غريبة عنا فنريد أن نعلم ما عسى أن تكون هذه . أما الأثينيويون أجمعون والغرباء والمستوطنون فلا يتفرغون لشيء آخر إلا أن يتكلموا أو يسمعوا شيئا حديثا . « فوقف بولس فى وسط أريوس باغوس وقال . أيها الرجال الأثينويون أراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيراً لأننى بينما كنت أجتاز وأنظر الى معبوداتكم وجدت أيضاً مذبحا مكتوب عليه . لإله مجهول . فالذى تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادى لكم به الإله الذى خلق العالم وكل مافيه هذا إذ هو رب السماء والأرض لا يسكن فى هياكل مصنوعة بالأيادى ولا يخدم بأيادى الناس كأنه محتاج الى شيء إذ هو يعطى الجميع حياة ونفسا وكل شيء . وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض وحتم بالأوقات المعينة وبحدود مسكنهم لكى يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيداً لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد كما قال بعض شعرائكم أيضا لأننا أيضا ذريته . فاذ نحن ذرية الله لا ينبغى أن نظن أن اللاهوت شبيه بذهب أو فضة أو حجر نقش صناعة واختراع انسان . فالله الآن يأمر جميع الناس فى كل مكان أن يتوبوا متغاضيا عن أزمنة الجهل لأنه أقام يوما هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل ... ولكن أناسا التصقوا به وآمنوا منهم ديونيسيوس الديوباغى وامرأة اسمها دامرس وآخرون معهما (أع ١٧ : ١٨ — ٣٤) .

أفهل كان يمكن أن يكون الرسول موفقا فى رسالته كل هذا التوفيق فى وسط بيئة تموج بالفلسفة والفلاسفة لو لم يكن دارسا للفلسفة وهل كان يمكنهم أن يثقوا فى شخصه ويطمئنوا الى رأيه لو لم يحدثهم بطريقة عقلية بحتة وبأسلوب فلسفى محض يظهر فيه علمه باتجاهاتهم الفكرية وأقوال علمائهم وفلاسفتهم ؟

حقا إننا نؤمن بالوحى للرسل والأنبياء ولكننا نعلم كذلك أن الوحى ترك لكل نبى ورسول أسلوبه الخاص ليعبر به عن أفكار مقدسة كاملة . وهذه الحرية فى الأسلوب هى التى تبرر لرجال الدين دراسة الفلسفة لتكون أسلوبا ساميا من أساليب التبليغ فى الكتابة والكلام .

وإذن فدراسة الفلسفة خير للدين ورجاله ولكن رجال الدين ليسوا رجال فلسفة فقط بل هم رجال وحى أيضا يصلحون بالوحى أخطاء العقل ويكملون الحقيقة الانسانية بالحقيقة الإلهية فهم مؤمنون بالعقل فى غير غرور وبالدين فى غير كسل . ولو كان رجال الدين فلاسفة وفلاسفة العالم متدينين لأدرك الناس جميعا الطريق والحق والحياة

الأغنوستيس وهيب عطاالله